

كلمة في الهيئة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. قال الله تعالى: { وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ } والبر كل ما أمر الله به، والتقوى كل ما نهى الله عنه، وقد تكون التقوى عامة لجميع أنواع البر، والبر عام لجميع أنواع البشائر؛ ولذلك قال الله تعالى: { لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ } هذا أمر العقيدة { وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبَانَ السَّيْلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ } هذا حق المال. { وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالصَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ } وجعل هذه الخصال كلها من البر، وجعلها كلها من التقوى، والتعاون عليها يكون بتذكير الناس بها وبأمرهم بها وبإنذار من تخلف أو تأخر عن شيء منها فكل ذلك داخل في البر وداخل في التقوى. والتعاون على ذلك لا بد أن يكون مساعدة البعض لإخوانه أن يساعد المسلم إخوته على ذلك وبدلهم على خير ما يعلمه لهم، ويحذرهم من شر ما يعلمو لهم، وذلك أيضا هو حقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي وصفه الله تعالى به الأمة في قوله تعالى: { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ } وفسر المعروف بأنه ما أمر الله به، والمنكر بأنه ما نهى الله عنه وسمي المعروف بذلك لأن النفوس السليمة تعرفه وتشهد بحسنه، وسمي المنكر منكرا لأن النفوس السليمة تنكره وتشهد بقبحه بأن الله ما أمر بشيء فقال العقل: ليته نهى عليه، ولا نهى عن شيء فقال العقل السليم: ليته أمر به. وإذا وجد من بعض الناس من يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف، أو يستحسن المنكر ويستقبح المعروف فذلك لا يتكاس فطرته ولتغير قلبه إما أن الله أعمى بصيرته، وإما أنه لما أصر على المعاصي والمحرمات كان من آثار ذلك أن رأى المعروف منكرا والمنكر معروفا والسنة بدعة والبدعة سنة وتربى على ذلك وألفه وإلا فالأصل أن كل ما أمر الله به فإنه مما تستحسنة العقول وتستحليه وتشهد بحسنه، وكل ما نهى الله عنه فإنه مما تستقبحه العقول وتنفر منه وتشهد بقبحه. ولو كانت بعض النفوس تحب بعض المعاصي وتألفها وتستثقل بعض الطاعات فإن ذلك دليل على مرض تلك القلوب فإن القلوب تمرض كما تمرض الأبدان وسبب مرضها الشك والنفاق والشهوات المحرمة والإقبال على المعاصي وأشباه ذلك. كذلك لا شك أن النفوس المستقيمة النفوس السليمة والقلوب والفطر المستقيمة هي التي ترتاح لمعرفة الحق ومعرفة دلالته ومعرفة آثاره ثم تتحلى به وتعمل به فالله تعالى وصف الأمة بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على أصلهما وهو الإيمان: { تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ } لأن الإيمان شرط لصحة هذه الأعمال، فلا يصح أن يأمر إلا وهو مؤمن ولا ينهى إلا وهو مؤمن. فعرفنا بذلك أن هذا وصف هذه الأمة جميعا، وإذا تعين هذا العمل على فرقة من الناس كان عليهم فرض عين وعلى البقية فرض كفاية الذين عينوا وهيئوا لذلك يصبح عليهم فرض من فروع الآيات كالصلاة والصيام، ويكون لهم المراد بقول الله تعالى: { وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ } أمة يعني طائفة وجماعة يحصل بهم الكفاية أمرهم بأن يدعوا إلى الخير وهو كل ما يحبه الله ويرضاه يدعون إلى الإسلام ويدعون إلى الدين ويدعون إلى العبادات ويدعون إلى ترك المحرمات.